مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢ ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

احمد فتحي زغلول

(١٣٣٢ هـ)

ولد في ابيان من عمل الغربية في مصر وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الاسم الذي اختاره له أبوه « فتح الله صبري » فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه من النبوغ سماه باسمه « احمد » واختار له من الألقاب « فتحي » فكان احمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف الى أوربا فحذق علم الحقوق في باريز وتمكن من الآداب الفرنسية وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين وهو الذي وضع لائحة اصلاح الأزهر ولائحة اصلاح المحاكم الشرعية . وكان أترابه يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد الخالق ثروت من علماء مصر وقضاتها انه « نبغ في المعقول والمنقول ومعه الأدب الجم تزينه البلاغة ويزنه المنطق الصحيح الى العلم الغزير ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تثبته الحكمة ، وتؤيده قوة العارضة الى صفات نادرة في تصريف الأمور » ، وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ، وذا ذوق سليم فيما لم يعانه من الفنون وعلى جانب من دماثة الأخلاق والتواضع والبعد عن الدعوى يجمع الى هذا كله « شغفاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته يقصر دونه جهاد رجال في أعوام ، ولم يقصر همته على أعمالها الكثيرة العظيمة بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة » « حياة كلها جهاد وعمل لم يؤت فيها عقله وجسمه قسطهما من الراحة ، مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالباً نواميس الطبيعة » .

كان رجل عمل يدعو الى تحبيبه الى الناس وتعليمهم طريقته الرشيدة ولم يكن رجل ثورة لأنه يكره الثورات ويعتقد مضرتها ، وعنده أن القانون الحسن ما احتملته الأمة ونفذته راضية به مستعدة له ، ويرى أن خير التعاليم السياسية والاجتماعية ما لاءم طبائع الأمة وكانت فيها قوة على خصمها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بذ الأقران لم يجمع مالاً ولم يتأثل عقاراً ، ولم يترك درهماً ولا ديناراً » ، وقالوا في صفاته الشخصية انه كان حسن العشرة حلو المفاكهة ، نزيه النفس واللسان ، يرضي كل جليس بغير دهان ، لا يمل جليسه جدّه ، ولا يعبث بوقاره هزله ، وكان متأنقاً في زيه ومعيشته من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضري من أساتذة العصر في مصر : « أما خلقه فقد منح منه ما يحببه الى النفوس ، ويقربه الى القلوب طلاقة وجه وسعة صدر وتواضع الأشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة رأيناه منا قريباً على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة في تخطئة الرأي فيفسح لها صدره ، ويلقاها لا تأفف ولا ضجر . وأما اطلاعه على دقائق الفقه وأسراره فقد كنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نجلس اليه وقد محصنا المسألة تمحيص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الأقران الى ما يخيل الينا أن الفقه علينا موقوف وعن غيرنا مصروف ، فلا نلبث ان نرى ذلك السيل الدافق وقد رجعنا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما يعارض به عال الفقهاء ، وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على ما يخالفها من جزئيات المسائل فكان يحمل جليسه على البحث والاستقصاء ويعدل الفكر اذا زاغ ، ولم يكن سمره وعمله الا فيما يرضي ضميره من كتاب يؤلّف أو يترجَم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته » .

أتقن من لغات العلم الألمانية والانكليزية والفرنسية مئات من المصريين والشاميين والتونسيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تفاخر لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ولكن احمد فتحي زغلول أحكم الفرنسية والعربية وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها يحملها لأمته فينير سبيلها الى العلم ويدعوها الى النهوض ، وما ألف ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس لا ليقال انه ألف ونقل فما نقل وجوّد فيه ، وكل تآليفه وترجماته كان مجوداً فيها ، « أصول الشرائع » لبنتام و « خواطر وسوانح في الاسلام » لدي كاستري و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » لادمون دي مولين وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، ومما عرّب عن الحكيم غستاف لبون « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » وترجم « جوامع الكلم » و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان عبد العزيز ينصحه فيها ويذكر له ما أصيبت به دولته من الانحطاط » . ومن تآليفه « المحاماة » و « رسالة في التزوير الخطي » و « شرح القانون المدني » ويقول علماء هذا الشأن ان هذا الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق . وكان له فضل في وضع المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختار من العربية ما ينطبق عليها . وكان دقيقاً فيما ينقل يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف لا يمسخ ولا يحرف . وبلغ من تضلعه من الفرنسية أن كان يلقي نظرةً على كتاب علم كتب بها ويترجم عبارته ببيان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عذب لا يشعر جليسه أنه يترجم بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان الغربي أجمل أداة ينفع بها أمته ورأى أن يحمل اليها الفائدة من طريق التعريب لعلمه بتفوق الغرب علينا في جميع العلوم .

لم يهدف المترجَم له للخمسين من عمره وأخرج للعربية هذا المحصول الجيد من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح وكان مع هذا لا يحرم نفسه من مباهجها ولا قومه من العناية بخصوصياتهم يفشاهم في أفراحهم وأتراحهم ويشاركهم في آمالهم وآلامهم ويمتع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعيم . ولو كان كل من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعد الهمة ومعرفة الواجب لقومه عليه لكان لنا من مجموع ما تخطه أقلامهم ويصدر من آرائهم وتجاربهم كنز نرجع الى ركازه في تنمية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لايقانه النفع العام في هذه الطريقة فخالف بذلك طريقة صديقه محرر المرأة قاسم أمين فان هذا دوّن تجاربه وتصوراته وجرأ على نشرها للناس . ولو مال الى الاكثار من نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر أفكار غيره لتم الخير للعقول على يده أكثر مما تم ولذلك كان أحد كبار أساتذتنا يقول ان مقدمة « سر تقدم الانكليز السكسونيين » أفيد من الكتاب الأصلي الذي عربه فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » من تعريبه وفيه مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء وترزق العجزة ، وتنفي أسباب البطالة ، وتحفظ الأخلاق ، وتلمّ شعث العائلات ، وتجمع أشتات القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما اعوج من سيرنا وسيرتنا ، ورد هجمات المزاحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الأعمال باهمالنا ، رميناها بسوء الادارة ، واتهمناها بحب الأثرة ، وألقينا عليها تبعة خمولنا كلها .

« ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكلف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام وحفظ الأمن واقامة العدل ، وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاهدة بعضهم بعضاً على ما يضمن حرية التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به الممكنات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر العام مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الأمة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الأمن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف واحياء العلوم ، وفي أداء الواجب والمحافظة على الحقوق » اهـ .

كان احمد فتحي زغلول يكبر شقيقه سعد زغلول بضع سنين خُلد اسم هذا بعمله العظيم لاستقلال مصر وكان رجل ثورة ، وخلد اسم فتحي بتآليفه استفاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة وحرص على النهوض بأمته من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في النفوس .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net